العنوان:	الخلفاء العباسيون في ظل دولة المماليك
المصدر:	مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة - مصر
المؤلف الرئيسي:	بدوي، عبدالمجيد أبو الفتوح
المجلد/العدد:	ع 8
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1978
الصفحات:	179 - 196
رقم MD:	142458
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	المصادر التاريخية، دولة المماليك، الخلافة الإسلامية، مصر، الدولة الفاطمية، الدولة العباسية، التاريخ الإسلامي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/142458

الخلفاء العباسيون فى ظل دولة المماليك

للدكتور عبد المجيد ابو الفتوح بدوى

فى هذا البحث سنقدم أولا عرضا تاريخيا موجزا لكيفية احياء الخلافة العباسية فى القاهرة بعد سقوطها فى بغداد ، ثم نتبع ذلك بمناقشة عدد من القضايا التى أثيرت حول هذا الموضوع واستحوذت على اهتمام كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين .

ولعل من المفيد فى البداية أن نشير الى أن محاولة المماليك جعل مصر مقرا للخلافة لم تكن المحاولة الاولى فى هذا الاتجاه ، بل سبقتها محاولة أحمد بن طولون عندما عرض على الخليفة المعتمد فى عام ٢٦٩ هـ/٨٨٢ م أن ينتقل الى مصر ، وينطلق منها لاستعادة نفوذه الضائع فى ظل سطوة أخيه الموفق (١) ثم جاء الاخشيد فكرر هذه المحاولة فى عام ٣٣٣ هـ / ٩٣٥ ساعيا فى الظاهر الى تخليص الخليفة العباسى المتقى لله من تسلط الجند الاتراك عليه ، نتيجة صراعهم على منصب امرة الامراء ، وان كان يهدف فى الدرجة الاولى الى أن يصبح صاحب الكلمة العليا فى دولة الخلافة من وراء هذه المحاولة (٢) وكما انتهى أمل ابن طولون بالفشل ، كذلك انتهت آمال الاخشيد باحباط من جانب الخليفة الذى آثر العودة من الرقة ببلاد الشام الى عاصمة ملكه آملا أن يحقق من وراء ذلك المحافظة على سلطانه ولكنه دفع حياته ثمنا لهذه العودة .

واذا كان كلا الرجلين قد أدرك قيمة ما ستضفيه الخلافة على المكان من أهمية اذا ما انتقلت اليه ، فان قوما آخرين أدركوا قيمة ما سيمنحه هذا المكان لخلافتهم من أهمية ، وهؤلاء هم الفاطميون الذين لم يمنعهم

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ص ٣٩٤ ط دار صادر بيروت .
(٢) المرجع السابق جـ ٨ ص ٤١٨ .

نجاحهم فى اقامة خلافة لهم ببلاد المغرب ، وتشييد عاصمة مهيبة لدولتهم هناك ، لم يمنعهم هذا من التطلع الى مصر لتكون مركزا لخلافتهم الشابة الفتية ، مدركين أهمية هذه الخطوة فى محاولة بناء دولتهم ، والمحافظة على كيانها ، وتوسيع نفوذها .

الفكرة اذن قديمة .. فكرة نقل الخلافة الى مصر أو اقامتها فيها ، ولكن الجديد فى محاولة سلاطين المماليك احياء الخلافة العباسية فى القاهرة هو الظروف التى حدثت فيها المحاولة ، هذه الظروف التى تمثلت فى القضاء على الخلافة فى بغداد . وقتل آخر الخلفاء العباسيين نتيجة الغزو المغولى المدمر ، وما أحدثه هذا الغزو فى نفوس المسلمين من احساس بالضياع والمهانة ، الى أن حدثت المعجزة فى عين جالوت ، وبدأت فلول المسلمين تستشعر من جديد أن بامكانها الصمود والمقاومة ، بل والنصر أيضا . وكان من الطبيعى أن يكون من بين هؤلاء بقايا البيت العباسى الذين أفقدهم التدمير والتخريب ، والذبح والتقتيل فى بغداد وغيرها أى أمل فى احياء سلطانهم الى أن انتصر قطز على المغول فبدأ ذوو الطموح من بقايا أفراد هذه الأسرة يبذلون محاولات لاستعادة عرش آبائهم من يد المغتصبين .

وقد سلك هذا السبيل رجلان : أولهما أبو العباس أحمد الذى يستد نسبه الى الخليفة المسترشد بالله ، وقد وصل هذا الامير الى شمالى الشام ، ولجأ الى أمير العرب فى هذه المنطقة عيسى بن مهنأ ، وأقام عنده مدة من الزمن الى أن وصل قطز الى دمشق عقب موقعة عين جالوت ، وعلم بوجوده فأرسل فى طلبه ، وبايعه بالخلافة . والتحق بخدمة هذا الخليفة جماعة من أمراء العرب ، ومضوا معه فى محاولة لاستعادة ما يقدرون عليه من البلاد العراقية التى استولى عليها المغول ، ونجح أبو العباس — فعلا — فى استعادة بعض البلاد : كالحديثة وهيت ، والانبار ، وحقق بعض الانتصارات . وفى هذه الاثناء حدثت مؤامرة الظاهر بيبرس « على المظفر قطز » وتم قتله وهو فى الطريق الى القاهرة وتسلطن بيبرس ، فأرسل عن طريق نائبه فى دمشق يستدعى الخليفة ، وما أن وصل أبو العباس الى دمشق واستعد للتوجه نحو القاهرة ، حتى علم بأن عباسيا آخر ، هو أبو القاسم أحمد (عم الخليفة المستعصم) قد سبقه الى مصر ، وبويع بالخلافة ، فلم يشأ أن يواصل الرحلة ، وعاد الى حلب ، حيث بويع بالخلافة من جانب عدد كبير من الناس على رأسهم والد الامام ابن تيمية .

ورأى أبو العباس أن يستأنف نشاطه العسكرى ضد المغول ، فجمع عددا من أنصاره ، وزحف بهم على « عانة » وهناك وجد الخليفة أبا القاسم أحمد الذى بويع فى القاهرة ، ومعه فرقة من المحاربين يسعون الى استعادة ما اغتصبه المغول من بلدان الخلافة ، وهناك تم التفاهم بين الرجلين ، وانقاد أبو العباس لابى القاسم ، واتفقا على أن يواصلا رحلة الجهاد معا ، حتى اذا ما التقى الرجلان بالمغول فى احدى المعارك التى هزما فيها لم يعثر لابى القاسم على أثر ، وفر أبو العباس الى « الرحبة » ملتجئا للمرة الثانية الى أمير العرب عيسى بن مهنأ الذى كاتب الظاهر بيبرس فى شأنه ، فأرسل يستدعيه الى القاهرة ، فوصل مع أهله ، وبويع بالخلافة فى المحرم عام ٦٦١ هـ ـ ١٢٦٢ م (١) .

هذا استعراض تاريخ سريع لكيفية احياء الخلافة العباسية فى مصر ، وجدناه ضروريا ، كى نتمكن فى ضوئه من مناقشة عدد من القضايا التى أثيرت حول هذا الموضوع وأول هذه القضايا التعرف على هدف سلاطين المماليك من تحقيق هذه الخطوة ، ثم ما أثير حول صحة نسب أول عباسى وصل الى القاهرة ، وهو أبو القاسم أحمد ، وكذلك مكانة الخلفاء العباسيين فى ظل دولة المماليك ، ومدى ما كان لهم من نفوذ روحى على الناس ، وأخيرا مدى اعتراف العالم الاسلامى بنفوذ هؤلاء الخلفاء عليه ، حتى ولو كان هذا النفوذ نفوذا روحيا .

القضية الأولى :

وهى تدور كما أسلفنا حول ما أثير عن هدف المماليك ، وخاصة بيبرس من وراء احياء هذه الخلافة ، وهى قضية لم يثرها المؤرخون القدماء ـ فيما أعلم ـ لانهم بطبيعة الحال كانوا يرون فى احياء الخلافة عملا رائعا ، أعاد للامة المهزومة أمام جحافل التتار الكثير من الثقة بنفسها ، وايمانها بقدرتها على تجاوز المحنة التى ألمت بها ، أما المؤرخون المحدثون وعلى رأسهم توماس أرنولد وبروكلمان ، وسوبر نهيم فهم يرون أن هذه الخطوة من جانب المماليك قد تمت لتحقيق غايات سياسية عملية ، ولم تكن استجابة لما يجيش فى نفوس الامة من التطلع الى اثبات الذات ، واستعادة الثقة بالنفس ، لذا فهم يرون أن « بيبرس » حاول أن يكسب حكمه صبغة شرعية شأنه فى ذلك شأن أسلافه من المماليك الارقاء . وبعضهم رأى فيها محاولة من جانب بيبرس لتدعيم سلطانه ،

(١) انظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء جـ ٢ ص ٧٦٠ ـ ٧٦١ .

ومحاولة للتغلب عن طريقها على أطماع زملائه من أمراء المماليك (١) ويرى أستاذنا الدكتور علي حسني الخربوطلي أن الذي دفع بيبرس الى ذلك أن المماليك ظلوا يشعرون بأنهم مجرحون لاصلهم غير الحر ، ولانهم اغتصبوا ملك مصر والشام من أصحاب البلاد الشرعيين ، فأرادوا بهذا التصرف أن يضفوا على أنفسهم نوعا من المهابة ، وعلى حكمهم لباسا من الشرعية ، وعلو المكانة (٢) .

والذى يتصفح هذه الاراء المتعددة يراها تكاد تجمع على أمرين :

أولهما : أن دولة المماليك التى قامت منذ عام ٦٤٨ هـ ظلت تفتقر إلى الشرعية حتى عام احياء الخلافة العباسية فى مصر سنة ٦٥٩ هـ ــ ١٢٦١ أى أنها ظلت أكثر من عشر سنوات دولة غير شرعية حتى جاءت الخلافة الى مصر فمنحتها هذه الشرعية التى كانت تفتقر اليها . وهنا يمكن أن نعود الى الوراء قليلا لنتساءل عن موقف الخليفة المستعصم (آخر خلفاء بغداد) من دولة المماليك حين قامت ، هل رفض الخليفة أن يعترف بدولتهم ان الخليفة لم يرفض الاعتراف بهذه الدولة ، وانما وجه اعتراضه آنذاك على اختيارهم امرأة لتكون سلطانة على مصر ، وأذعن المماليك ساعتها لرغبة الخليفة ، وتنازلت « شجر الدر » عن السلطنة لزوجها معز الدين أيبك (٣) ثم بعد ذلك وجدنا رسل الخليفة المستعصم تتردد على مصر ، وكثيرا ما تدخل الخليفة بين الملك الناصر صلاح الدين الايوبى (أمير دمشق) والمماليك فى مصر كى ينهوا خلافاتهم ، ويقفوا صفا واحدا ضد الغزو المغولى المرتقب ، بل ان الخليفة بعث رسولا من قبله فى عام ٦٥١ هـ ١٢٥٣ م ليشارك فى وضع أسس للاتفاق ، وارساء قواعد الصلح بين المماليك والأمير الأيوبى ، واتفق الطرفا نعلى أن يمتد نفوذ المماليك الى الاردن ، ويكون للناصر ما وراء ذلك حتى شمالى الشام (٤) ألا يعنى هذا اعتراف الخليفة فى بغداد ــ ولو ضمنا ــ بشرعية حكم المماليك ؟ ! ثم هل كان المماليك فعلا فى حاجة الى الاعتراف بشرعية وجودهم فى الحكم

---

(١) انظر : د. على حسنى الخربوطلى : غروب الخلافة الاسلامية ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، وكذلك : تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بروكلمان جـ ٣ ص ٦٤ ، ودائرة المعارف الاسلامية جـ ٨ ص ٤٨٧ ط الشعب .

(٢) غروب الخلافة الاسلامية ص ١٤٤ .

(٣) انظر : المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ومرآة الزمان جـ ٨ ص ٧٨٩ .

بعد أن تحقق لهم ذلك النصر الهائل على المغول ، وكسروا شوكتهم ، وأوقفوا مدهم الى الابد ؟ أكان المماليك فى حاجة الى الشرعية وهم الدولة الاسلامية الوحيدة التى وقفت شامخة متماسكة أمام هذه المحنة ؟ !

الأمر الثانى : أن هذه الآراء تتجاهل تماما مشاعر الرأى العام المسلم الذى كان يحس بمرارة الهزيمة ، وعنفها ، وثقلها على النفس ، ولا شك فى أن هذا الرأى العام كان يحلم بيوم تستطيع فيه الخلافة التى سقطت أن تنهض من جديد ، لتظل برايتها جميع المسلمين مرة أخرى . فلم لا يكون حرص المماليك على احياء الخلافة ــ كان فى بعض جوانبه ــ استجابة لما يعتمل فى نفوس المسلمين من مشاعر تجاهها ، وما يتجاوب فى قلوبهم من أصداء نحوها ، ولعل مما يؤيد هذا أن فكرة احياء الخلافة فى القاهرة جاءت لاحقة لفكرة احيائها فى بغداد ، فالخليفة أبو العباس أحمد عندما بايعه قطز فى الشام جمع رجاله ، وعاد الى موطن الآباء محاولا احياء الخلافة هناك ، وكذلك الخليفة أبو القاسم أحمد عندما وصل الى القاهرة وبويع بالخلافة طلب من الظاهر بيبرس ــ فى أول خطبة له ــ أن يعينه على استعادة موطن آبائه ، ومقر ملكهم فقال له : « وبك يرجى أن يرجع مقر الخلافة الى ما كان عليه فى الايام الاول » (١) وقد استجاب السلطان لرغبته وجهز له عسكرا توجه به الى العراق ، وقاتل فى سبيل هذه الغاية حتى قتل ، ثم ألا تعكس لنا بيعة أبى القاسم أحمد فى الشام من قبل جمع كبير من عامة الشعب ، وعلى رأسهم والد الامام ابن تيمية ، ألا يعكس لنا ذلك الامل الذى كان يداعب خيال المسلمين تجاه احياء الخلافة فى تلك الحقبة الاليمة من تاريخهم .

ليس معنا هذا أننا نرفض أن يكون المماليك ، وعلى رأسهم بيبرس قد فكروا فى مدى الاستفادة من احياء الخلافة العباسية فى مصر ، ولكننا نقول : ان هذا لم يكن البداية ، وانما تم فى مرحلة تالية ، وأن هذه الافادة كانت شيئا آخر غير الحصول على الشرعية التى رماهم المؤرخون المحدثون بأنهم حكموا عشر سنوات وهم خلو منها . لقد كان الهدف من احياء الخلافة فى القاهرة أن يتيح هذا الامر لسلاطين المماليك فرصة قيادة العالم الاسلامى ، وأن تصبح مصر بؤرة الاشعاع بالنسبة لهذا العالم وقد يسر عليهم احياء الخلافة فى مصر هذا الامر ، لانه لم يكن من السهل على أمراء العالم الاسلامى أن يعلنوا الخضوع لامراء المماليك ،

---

(١) السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٥٦ .

وهم من وجهة نظرهم مجموعة من المماليك الارقاء . ولقد استطاع المماليك بانتصارهم فى « عين جالوت » أن يدعموا مركزهم السياسى أمام خصومهم وأن ينتزعوا منهم الاعجاب والاعتراف بقدرتهم على قيادة الامم ، وسياسة الدول ، ثم جاء احياؤهم الخلافة ، فخطا بهم خطوة أخرى فى هذا السبيل مكنتهم من أن يصبحوا سادة العالم الاسلامى ، وقادته لفترة من الزمن ، ولقد وضح أثر ذلك فى علاقاتهم بغيرهم من أمراء المسلمين ، فكانوا يدلون عليهم بوجود الخلافة فى ديارهم ، ويرون أنهم من أجل هذا يجب لهم السمع والطاعة على كل ملوك المسلمين . فعندما ورد على السلطان « برقوق » خطاب « تيمور لنك » يتهدده فيه ويتوعده ان لم يدخل فى طاعته رد عليه متهددا متوعدا ، رافضا الاذعان بالطاعة معللا هذا الرفض بقوله « أبعد أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، تطلبون منا طاعة ، لاسمع لكم ولا طاعة » [1] ومعنى هذا أن مماليك مصر كانوا يرون دولتهم أساس الخلافة الواجبة الطاعة على كل ملوك المسلمين . ولعل هذا يفسر لنا التغير الذى طرأ على تفكير بيبرس . وجعله يحرص على احياء الخلافة العباسية فى القاهرة ــ وليس فى بغداد ــ الامر الذى جعله يتقاعس عن مد يد العون للخليفة المستنصر أبى القاسم أحمد بالقدر الذى يمكنه من التغلب على المغول أو الصمود أمامهم ، وذلك عندما نبهه أمير الموصل الى خطورة احياء الخلافة فى بغداد على الكيان السياسى لدولة المماليك [2].

القضية الثانية :

وهذه تتعلق بتحقيق نسب أول خليفة عباسى بويع فى مصر وهو المستنصر أبو القاسم أحمد : فجمهور المؤرخين يصحح نسبه ، ولم يشكك فى صحة هذا النسب الا أبو الفدا (صاحب المختصر) ثم تبعه فى هذا التشكيك بعض المؤرخين كابن الوردى الذى نقل رواية أبى الفدا ، وأضاف اليها اعتراضا فقهيا على طريقة اثبات نسب هذا الخليفة التى تمت فى القاهرة . وأبو الفدا لم يذكر سندا واحدا يعتمد عليه فى التشكيك فى صحة هذا النسب ، وانما فهم من كلامه أن سنده فى هذا هو أن الخليفة

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ٥٢ .

(٢) يقول المقريزى : « وكان السلطان قد عزم أن يبعث مع الخليفة عشرة آلاف فارس حتى يستقر ببغداد ، ويكون أولاد صاحب الموصل فى خدمته ، فخلا أحدهم بالسلطان ، واشار عليه الا يفعل ، فان الخليفة اذا استقر أمره ببغداد نازعك واخرجك من مصر ، فرجع اليه الوسواس ولم يبعث مع الخليفة سوى ثلاثمائة فارس (السلوك جـ١ ق٢ ص ٤٦٢).

كان أسودا ، وظل يلقبه — وهو يتبع أخبــاره بالتسجيل — بالخليفــة الاسود . وواضح أن هذا ليس سببا موضوعيا يمكن الاعتماد عليه ، فمن المعروف أن كثيرا من خلفاء بنى العباس وأمرائهم كانوا يتخذون من الاماء أمهات أولاد ، ومن بين هؤلاء الاماء من كن من السودان أو الاحباش ، ومن الممكن أن ينزع الولد الى أمه ، ولقد أشار الحافظ الذهبي فى كتابه (دول الاسلام) الى أن أم المستنصر هذا كانت أمة حبشية (١) .

اذن ما الذى دفع أبا الفدا الى أن يسلك غير سبيل جمهور المؤرخين، ويشكك فى صحة نسب الخليفة ؟ فى الواقع لم نجد سببا غير أن أبا الفدا من الأيوبيين من نسل تقى الدين عمر (ابن أخى صلاح الدين) وقد ظلت أسرته تحكم حماة نيابة عن سلاطين المماليك حتى عام ٦٩٨ هـ — ١٢٩٨ ثم أخضعها المماليك لحكمهم المباشر ، وقد نال أسرة أبى الفدا الكثير من العسف ، ومصادرة بعض اقطاعاتهم على يد أول وال مملوكى على حماه ، الأمر الذى دفع أبا الفدا الى مغادرة وطنه ، والاقامة فى دمشق فترة من الزمن وظل يجاهد ، ويتقرب من الناصر محمد بن قلاوون حتى أعاده الى حماة، ورد عليه حكم أهل بيته مرة أخرى (٢) فلعل أبا الفدا وهو الأيوبى المهيض الجناح على يد المماليك قد نظر الى خطوة احياء الخلافة بغير عين الرضا ، لانها مكنت لمغتصبى عرش آبائه من الاستمرار والاستقرار ، ومن ثم عمد الى التشكيك فى نسب الخليفة العباسى .

على أن أبا الفدا وان كان قد عجز عن الاتيان بسبب موضوعى مقنع يقلب شكه الى يقين ، فاننا أيضا عاجــزون عن الاتيــان بنفس السبب للوصول الى الحقيقة فى هذه القضية ، وان كنا لا نعدم مرجحات تصحح هذا النسب منها : الاعراب الذين وفدوا مع الخليفة ، وشهدوا على صحة نسبه ، وفى هذا يقول ابن خلدون : « ان القاضى أثبت نسب الخليفة المذكور بشهادة العرب الواصلين معه بالاستفاضة ، ولم يكن شــخصه خفيا » (٣) ومنها وهو الأهم أن هذا الخليفة لو كان دعيا فى هذا النسب لتنع بما وصل اليه من تمام بيعته خليفة فى القاهرة ، ولم يكن حريصــا

(١) دول الاسلام جـ ٢ ص ١٦٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ .

(٢) انظر : ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر جـ ٤ ص ٤٢ ، ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) العبر وديوان المبتدا والخبر جـ ٣ ص ٥٤٠ ط بولاق .

على احياء ملك آبائه فى عاصمة خلافتهم ، معرضنا نفسه لمخاطر مروعة عاينها الناس وعانوها ، ومع ذلك يصر على المسير لاسترداد ملك آبائه المغتصب بحد السيف ، فى ظروف تتضاءل فيها فرص النصر ، ويتعذر فى ظلها تحقيق الهدف المنشود .

القضية الثالثة :

وهى خاصة بمكانة الخلفاء فى ظل دولة المماليك ، ومدى نفوذهم فى هذه الدولة . ويكاد المؤرخون المحدثون يجمعون على أن هذه الخلافة التى قامت فى القاهرة كانت مظهرا شكليا ، خلوا من أى تأثير ، وحتى بيعة الخلفاء للسلاطين « كانت أمرا صوريا لا يقدم ولا يؤخر فى توطيد عرش السلطان أو زعزعته ، ولكنه كان تقليدا اتبع منذ عهد بيبرس ، وعادة اصطلح عليها فى تلك الفترة من تاريخ مصر الاسلامية » (١) ومن الواضح أن هؤلاء المؤرخين اعتمدوا على ما ذكره بعض المؤرخين القدماء فى تقرير هذه الحقيقة ، وعلى رأسهم المقريزى الذى يقول عن الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد فى حوادث سنة ٨٠١ هـ ١٣٩٨ م أهل هذا القرن التاسع ، وخليفة الوقت أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ليس له من أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة ، وانما هو بمنزلة واحد من الأعيان (٢) ويذكر فى حوادث سنة ٨٢٨ هـ ــ ١٤٢٤ أن هذه السنة دخلت ، والخليفة هو المعتصم بالله أبو الفتح داود بن المتوكل وليس له من الخلافة الا مجرد الاسم (٣) .

ونحن وان كنا نسلم مع هؤلاء المؤرخين بأن هذا فعلا كان حال معظم الخلفاء العباسيين فى ظل دولة المماليك ، فان لنا تحفظين على هذا الحكم :

أولهما : أنه لم يكن بامكان الخلفاء أن يحققوا لانفسهم منزلة أسمى من المنزلة التى احتلوها فى دولة المماليك ، نظرا للظروف التى تم احياء الخلافة فى ظلها .. هذه الظروف التى جعلت المماليك أصحاب فضل فى بعث هذه الخلافة من مرقدها مرة أخرى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان هذه الخلافة قد قامت فى أحضان سلاطين أقوياء يتمتعون بكامل نفوذهم وسيطرتهم على كل الامور فى دولتهم ، ولم يكن من المعقول

---

(١) غروب الخلافة الاسلامية ص ١٥١ .
(٢) السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٩١٥ .
(٣) المرجع السابق جـ ٣ ق ٢ ص ٦٧٧ .

أو الميسور أن يتخلى هؤلاء عن نفوذهم أو عن بعضه لصالح الخلافة ، دون ما حاجة تدفعهم إلى ذلك دفعا ، ولم يكن هذا افتئاتا من جانب المماليك على الخلافة ، حيث مضت قرون وقرون وهى متخلية عن سلطانها الزمنى ، قانعة بما لها من نفوذ روحى على الناس ، وذلك منذ بدأ تسلط الجند الاتراك على الخلافة فى عام ٢٣٢ هـ ـ ٨٤٦ وحتى عندما تمكن الخلفاء فى عام ٥٩٢ هـ ـ ١١٩٦ من استعادة سلطتهم الزمنية بعد سقوط دولة سلاجقة العراق ، انكمشت هـذه السلطة ، وانحصرت فى بغـداد وأجزاء متفرقة من العراق ، وعلى هذا نرى أن المماليك عندما أحيـوا الخلافة العباسية ، لم يسلبوا الخلفاء نفوذا زمنيا كانوا يتمتعون به ، وانما هذا كان حالهم ، ولم يكن من المتوقع أن يقدم لهم المماليك ما يتمتعون به من نفوذ هدية لهم ، ومع ذلك فانا نستطيع أن نقرر أن وضع الخلفـاء العباسيين فى ظل دولة المماليك كان أفضل بكثير من وضعهم فى ظل سيطرة الجند الاتراك ، وهى مرحلة متقدمة فى تاريخ الخلافة العباسية ، بدأت بعد مائة عام فقط من قيامها ؛ فغاية ما حدث للخلفاء فى ظل المماليك عندما كانت تصطدم طموحات الخلفاء بتجبر السلاطين هو الحبس أو النفى ؛ وهى حالات محدودة ونادرة فلم تقع جريمة قتل واحدة أو تعذيب لخليفة ما فى ظل دولتهم ، وهذا بعكس ما حدث لخلفاء بنى العباس فى بغـداد وهم تحت سيطرة الجند الاتراك ، أو البويهيين حيث قتل وعذب عـدد كبير منهم . والسبب فى ذلك أن الجند الاتراك كانوا يرون فى قهر الخلافة واضعافها وسيلة الى استمرار نفوذهم ، واحكام قبضتهم على دولة كان المفروض فيها أنها دولة الخلافة ، ولم يكن هذا احساس سلاطين المماليك ، فالدولة دولتهم ، والخلافة رمز روحى يجعـل من دولتهم مركز العـالم الاسلامى ، اليها تتجه القلوب ، ومنها تستمد الدول الاسلامية شرعية وجودها لذا كان الحفاظ على الخليفة ، واحاطته بمظاهر التوقير والاحترام ـ وان لم يكن له من الامر شىء ـ أمرا ضروريا ، وحتى فى بعض الاوقات التى تحرش فيها بعض الخلفاء بالسلاطين لم ينلهم من الاذى عشر معشار ما نزل بآبائهم فى بغداد .

وهذا ينقلنا الى التحفظ الثانى على ما ارتآه المؤرخون المحـدثون استنادا الى ما ذكره بعض القدماء . فنحن وان سلمنا معهم بأن الخلفـاء فى ظل دولة المماليك لم يكن لهم نفوذ محســوس ، ولا دور فى صـنع الاحداث ، ، فانا لم نوافقهم الا على اعتبار أن ذلك الحكم هو فى الاعم الاغلب ، ولكنه لا ينسحب بالضرورة على مجموع الخلفاء ، والا فان منهم

من كان له دور ايجابى فيما واجه الدولة من مشكلات ، بل كان له دوره فى ترجيح كفة أحد الامــراء المتصارعين على النفــوذ والسلطان ، وكان الخليفة يعتمد فى ذلك كله على ما له من نفوذ روحى فى نفوس العــامة والجند على السواء ، وستذكر نماذج لهؤلاء الخلفاء :

فى عام ٧٧٨ هـ ــ ١٣٧٦ خرج السلطان الاشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون الى الحج ، وكان بصحبته الخليفة المتوكل على الله محمد . وفى الطريق عند العقبة ثار أمراء المماليك على سلطانهم ، ففر منهم الى القاهرة ، فقبض عليه وقتل بعد أن أعلن كبار المماليك فى مصر خلعه ، وتولية ابنه المنصور على . وأثناء ثــورة المماليك على الاشرف بالعقبة طلبوا من المتوكل أن يتولى أمور السلطنة بجانب الخلافة ، فرفض وعاد الى القاهرة (١) وقد استطاع الامير « أينبك » البدرى أن يتغلب على أمراء الملك المنصور ، ويستبد بتدبير الامور فى المملكة ، وقد عن له أن ينقل الملك من بيت « قلاوون » فاستدعى الخليفة المتوكل على الله ، وطلب منه أن يبايع الامير أحمد بن الامير « يلبغا » العمرى بالسلطنة فرفض ، واحتج بأنه ابن أمير ، وليس من بيت الملك ، وعندما أصر الخليفة على موقفه سبه أينبك ، وأعلن خلعه ، وتولية زكريا بن ابراهيم العباسى الخلافة ، ثم أمر بنفى المتوكل الى مدينة « قوص » ولكن « أينبك » لم يستطع أن يتمادى فى موقفه هذا بعد أن نبهه أمراء المماليك الى خطــورة هذا العمل ، ونصحوه باسترضاء المتوكل ، فأرسل اليه حاجبه يعتذر اليه عما بدر منه ، وعاد الخليفة الى منصبه بعد ستة عشر يوما فقط من قرار عزله (٢) .

ويبدو أن الخليفة المتوكل على الله كان حريصا على أن يظل الملك فى بيت قلاوون ولذا لم يقابل تغلب الظاهر برقوق على السلطنة فى عــام ٧٨٤ هـ ــ ١٣٨٢ بارتياح ، وعلى الرغم من أنه بايعه ، وفوض اليه تدبير أمور الرعية كما هى العادة الا أنه سعى فى التخلص منه ، وحاول أن يستقطب عددا من كبار الامراء يعينوه على ما عقد العزم عليه ، فبعد عشرة شهور ــ تقريبا ــ من سلطنة برقوق ، اكتشف مؤامرة تدبر ضده ، وكان على رأس مدبريها الخليفة المتوكل الذى طلب من بعض الأمراء أن يعينوه على تحقيق هدفه ، ذاكرا لهم أن برقوق وأعوانه ظلمة ، وأنهم استولوا

---

(١) السلوك جـ ٢ ق ١ ص ٢٨٥ .
(٢) النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ١٥٢ ــ ١٥٥ .

على الملك بغير رضاه ، وأنه لم يقلده السلطنة الا غصبا ، واتهمه وحاشيته بأنهم تجبروا ، وأخذوا أموال الناس بالباطل ، وطلب منهم أن يقوموا معه من أجل الله ونصرة الحق • وقد اعترف بعض الامراء الذين قبض عليهم بأنهم وافقوا الخليفة ، واتفقوا على نصرته ، وأن هذا تم فى بيت الخليفة بجزيرة الفيل •• وأنكر الخليفة حدوث ذلك ، فاغتاظ برقوق ، وسل سيفه عليه ، ولكن كبار الامراء جالوا بينهما ، وسكنوا من غضب السلطان الذى استدعى الفقهاء — فيما بعد — وطلب منهم فتوى بجواز قتل الخليفة ، فرفضوا ذلك وانصرفوا عنه ، فأمر بسجنه فى القلعة ، وأعلن خلعه ، وتولية ابن عمه الواثق بالله عمر (١) ولم يستطع برقوق أن يستمر فى حبس المتوكل أكثر من ثلاثة شهور بعد أن شفع فيه كبار الامراء ، فأخرجه من سجنه ، وأنزله بدار فى القلعة ، وأحضر اليه أهله فأقاموا معه •

ورواية المقريزى لهذه الحادثة تشير الى أن محاولة الخليفة كانت أوسع مدى • وأن الامراء الذين وافقوه قد اتفقوا على أن ينتقلوا بالخليفة فى حال فشلهم الى الفيوم ، ويدعوا القبائل العربية فى الصعيد الى القيام بنصرته ؛ كما ذكر أيضا أن الخليفة كاتب فى هذا الامر بعض زعماء العرب فى البحيرة وطلب منهم النصرة والوقوف الى جانبه (٢) •

وواضح أننا أمام خليفة حاول أن يقف من أعمال المماليك غير المشروعة كاغتصاب السلطة ، والعسف بالرعية موقفا ايجابيا •

ومع ما أنزله برقوق بالخليفة المتوكل من السجن والخلع والتحفظ فانه اكتشف مدى حاجته الى نفوذه الروحى عندما خرج عليه والى حلب « يلبغا الناصرى » واستبد بمعظم الشام ؛ وبدأ يستعد للزحف على القاهرة وكان ذلك بعد ستة أعوام من ابعاد المتوكل عن الخلافة ، فأرسل برقوق فى طلبه فى جمادى الأولى من عام ٧٩١هـ — ١٣٨٩ وأعاده الى الخلافة ، وطلب من القضاة أن يحلفوا كلا منهما على الموالاة والمناصحة للآخر ، وخلع السلطان على الخليفة ، وأذن له فى العودة الى داره ، وأعاد اليه اقطاعاته ورواتبه ، وبعد أسبوع من حدوث ذلك ، طلب السلطان من الخليفة أن ينزل الى الناس فى القاهرة ، ومعه نائب السلطان

---

(١) تم ذلك فى يوم الاثنين اول رجب سنة ٧٨٥ هـ /١٣٨٣ •
(٢) السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٤٩٣ — ٤٩٥ •

والقضاة ليحض الناس على قتال « يلبغا » ويبلغهم بما أزاله السلطان من المكوس والمظالم ، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته (1) .

وواضح من هذا أن برقوقا حاول أن يستفيد الى أقصى مدى من نفوذ الخليفة الروحى فى مواجهة عدوه ، وفى الواقع فان خصمه يلبغا كان قد سبقه أيضا الى استخدام هذه الورقة الرابحة فى التشنيع على برقوق فى بلاد الشام ، فيذكر المقريزى : أن يلبغا كان يشنع على برقوق بأمور أكبرها سجن الخليفة المتوكل (2) .

وظل برقوق على احترامه للخليفة المتوكل حتى بعد أن تمكن من العوده الى السلطنة بعد خلعه على يد يلبغا الناصرى ، واشتراك الخليفة فى اقرار هذا الخلع ، وفى اصدار فتوى تدين برقوق ، وتتهمه بالفساد والافساد ، والاستعانة بالكفار على قتال المسلمين (3) فعندما انتصر برقوق على خصومه فى المحرم سنة ٧٩٢ هـ ــ ١٣٨٩ م عند أبواب دمشق ، وكان المتوكل فى صف الخصوم لم يفعل معه برقوق شيئا ، وانما طمأنه ، وطيب خاطره ، وخلع عليه (4) .

لم يحاول برقوق أن يسلك مع الخليفة سلوكا عدائيا بعد أن استوعب الدرس جيدا ، وأدرك أن سوء معاملته للمتوكل فى الماضى كانت من بين الاسلحة التى استغلها خصومه فى التشنيع عليه ، واثارة الجند والناس ضده .

وتوفى المتوكل عام ٨٠٨ هـ ــ ١٤٠٥ فى عهد الناصر فرج بن برقوق ، وبويع ابنه المستعين أبو الفضل العباس بالخلافة ، وفى أواخر عام ٨١٤ هـ ١٤١١ م ثار عدد من أمراء الشام على الناصر فرج ، وكان على رأسهم المؤيد شيخ المحمودى ، ونوروز الحافظى وغيرهم ، واستطاع هؤلاء الامراء أن ينتصروا على الناصر فرج الذى فر أمامهم الى دمشق ، ووقع الخليفة المستعين الذى كان يصاحب السلطان بأيدى هؤلاء الامراء ، فحاولوا أن يستغلوا ما للخليفة من نفوذ روحى فى حربهم ضد الناصر ، فاتفق أمرهم على اقامته سلطانا « لتجتمع الكلمة فى رجل واحد ، ويجدوا بذلك سبيلا

---

(1) النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٢٧٠ .
(2) السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٥٩٤ .
(3) النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٣٥٩ ــ ٣٦١ .
(4) المرجع السابق ص ٣٦٧ ــ ٣٧١ .

لقتال الملك الناصر وانفلال الناس عنه » (١) وفعلا تحقق الهدف الذى سعوا اليه عندما ركب المستعين وبين يديه الامراء ، وأمر أن ينادى على أبواب دمشق أن أمير المؤمنين خلع الناصر من السلطنة ، ولا يحل لاحد بعد ذلك مساعدته ولا القيام بنصرته : ويذكر أبو المحاسن ــ وهو صهر للناصر ــ أن أهل دمشق عندما سمعوا هذه المناداة انحلوا عن الناصر « وخافوا عاقبة مخالفة أمير المؤمنين فى الدنيا والاخرة » ثم يقول أيضا عن الامراء الثائرين « ولولا الخليفة ما انتظم لهم أمر ، لعظم ميل التركمان والعامة للملك الناصر » (٢) ومن حينئذ أخذ أمر الناصر فرج فى ادبار الى أن قتل فى ليلة السبت السادس عشر من صفر سنة ٨١٥ هـ ــ ١٤١٢م بقلعة دمشق (٣) .

وحين بويع الملك المنصور فخر الدين عثمان بن السلطان أبى سعيد جقمق العلائى بالسلطنة فى أوائل عام ٨٥٧ هـ ــ ١٤٥٣ حضر الخليفة القائم بأمر الله حمزة حفل التقليد بالقلعة ، فجلس السلطان على كرسى الملك ، وأجلس الخليفة على يمينه على الأرض ، فعظم هذا الأمر على الخليفة ، وأسرها فى نفسه ، حتى أعلن الامير اينال العلائى الثورة على المنصور ، فأظهر الخليفة الميل الكلى لاينال ، وأعلن خلع المنصور على الملا أكثر من مرة أثناء اندلاع المعارك بين الفريقين « فقوى بذلك قلب أصحاب الأمير اينال حتى تم لهم خلع المنصور فى ربيع الاول سنة ٨٥٧ هـ ــ ١٤٥٣ م وتمت بيعة العلائى ، وقد حفظ اينال للخليفة هذا الفضل بعد أن تم الامر له ، فرفع محله أضعاف ما كان أولا ، وزاده عدة اقطاعات ، وصارت له حرمة وافرة فى الدولة فترة من الزمن (٤) .

هذه نماذج لمواقف من بعض الخلفاء العباسيين فى هذه الفترة توضح لنا مدى ما كان لهم من تأثير روحى ، وأن هذا التأثير كان يستغل أحيانا لترجيح كفة واحد من المتنافسين على النفوذ والسلطان ، كما تشير الى أن هؤلاء الخلفاء لم يقفوا جميعا موقفا سلبيا تجاه ما تموج به الدولة من حوادث ومشكلات ، وانما كان منهم من شارك فى صنع الاحداث وتوجيهها الامر الذى ينفى تماما حكم التعميم الذى سحبه المؤرخون المحدثون على

(١) النجوم الزاهرة جـ ١٣ ص ١٨٩ ــ ١٩٠ .
(٢) المرجع السابق جـ ١٣ ص ١٩٣ .
(٣) المرجع السابق ص ١٤٦ ــ ١٤٧ .
(٤) انظر : القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٣ ص ٢٧٥ .

خلفاء هذه الفترة : من « أن خلافتهم كانت مظهرا شكليا ، وأن بيعة الخلفاء للسلاطين كانت أمرا صوريا لا يقدم ولا يؤخر فى توطيد عرش السلطان أو زعزعته » •

بقيت القضية الاخيرة : وهى مدى اعتراف العالم الاسلامى بنفوذ خلفاء القاهرة عليهم ، وبالنسبة لهذه النقطة يحسن بنا أن نفرق بين موقفين : موقف الدول الاسلامية الكبرى المعاصرة لدولة المماليك ، وموقف الدويلات الاسلامية الاخرى ، أما الاولى ، فلم يسع حكامها الى الحصول على تقليد من الخلفاء العباسيين فى مصر بحكم بلادهم ، ولم يكن هذا الموقف — فى ظنى — نابعا من الاستهانة بخلفاء بنى العباس فى القاهرة، وانما لان هذه الدول كانت ترى فى محاولة استمداد شرعية وجودها من الخليفة نوعا من الاعتراف الضمنى بنفوذ سلاطين المماليك عليهم اذ أن الخلفاء كانوا عقب مبايعتهم بالخلافة مباشرة يفوضون الى هؤلاء السلاطين تصريف كل ما هو موكول اليهم من شئون البلاد والعباد (١) فاذا أضفنا الى ذلك أن علاقات المماليك بهذه الدول الاسلامية الكبرى المجاورة لهم لم تكن علاقة تعاون ومودة ، وانما ساد هذه العلاقات الحروب والمنازعات ، والصراع على توسيع رقعة النفوذ والسلطان أدركنا السر فى احجام معظم هذه الدول عن الحصول على تقليد من الخلفاء العباسيين ويأتى فى مقدمة الدول المشار اليها : دولة ايلخانات المغول فى بلاد فارس والعراق بعد أن أسلم ملوكها ثم دولة الأتراك العثمانيين فى آسيا الصغرى، وأخيرا دولة تيمور لنك ، فهذه الدول كانت روح العداء والاعتداء تسيطر على علاقاتهم بدولة المماليك فى معظم الأحيان ، ولم يكن من المتوقع أن تسعى أى منها لاخضاع نفسها — ولو من الناحية الشكلية — لدولة المماليك ومع ذلك فان الخليفة العباس المستنجد بالله أبو المحاسن يوسف تطوع بارسال تقليد الى السلطان العثمانى ، وذلك عندما توسط لاقرار الصلح ، واخماد الفتنة بين السلطان العثمانى « بايزيد الثانى » والسلطان الاشرف « قايتباى » وذلك فى عام ٨٩٠ هـ — ١٤٨٥ فقد توجه الامير « جانى بك » الى اسطنبول يحمل رسالة مودة من قايتباى ، وبصحبته تقليد من الخليفة العباس للسلطان بايزيد بتوليته على بلاد الروم ، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفر ، ويحمل أيضا رسالة من الخليفة تطالب السلطان العثمانى باخماد نار الفتنة التى أوشكت أن تندلع بين العثمانيين وسلاطين المماليك ، ولكن مهمة هذا الرسول على ما يبدو لم

---

(١) انظر : القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٣ ص ٢٧٥ •

تكلل بالنجاح ، فقد عاد جانى بك ، وأخبر قايتباي بأنه لم يلق قبولا ولا اكراما من سلطان العثمانيين [1] .

أما الدويلات التى كانت تربطها بدولة المماليك علاقات حسنة ، فانها لم تتردد فى أن تستمد شرعية حكمها من اعتراف الخليفة العباسي فى القاهرة بها . ففى العام الذى بويع فيه المستنصر أبو القاسم أحمد أول الخلفاء سنة ٦٥٩ هـ ــ ١٢٦١ كتب الظاهر بيبرس لأولاد بدر الدين لؤلؤ (صاحب الموصل) تقاليد بيلادهم التى فوضت اليه من قبل الخليفة [2] وفى علم ٦٦١ هـ ــ ١٢٦٢ أرسل بيبرس رسلا الى السلطان بركة خان المغولى ، ومعهم كتاب بمبايعة الخليفة أبو العباس أحمد ، ونسخه من اثبات نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل بركة خان رسلا من قبله فى رمضان من العام نفسه ، فخلع عليهم الخليفة ، وسلمهم تفويضا منه لبركة خان [3] .

وفى عام ٨٣٢ هـ ــ ١٤٢٨ أرسل سلطان البنغال فى الهند : جلال الدين أبو المظفر محمد بن فندو كتابا على يد رسولين يطلب فيه أن يفوض اليه الخليفة العباس سلطنة الهند ، فجهز له التقليد من الخليفة ، وأرسل اليه فرد على ذلك بارسال هدايا الى القاهرة [4] .

وفى عام ٨٧٦ هـ ــ ١٣٧٤ أرسل الملك غياث الدين محمد سلطان بلاد الهند رسولا يحمل هدية للسلطان ، وللخليفة المستنجد بالله يوسف ، ويطلب تقليدا من الخليفة بولايته على اقليم الهند ، فكتب له الخليفة تقليدا بذلك [5] .

ويفهم من رواية السخاوى فى كتابه : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع أن ملوك الهند احتفظوا بعلاقتهم الوثيقة بالخلفاء ، وأنهم أرسلوا هدايا الى الخليفة العباس المتوكل على الله أبو العز عبدالعزيز المتوفى فى عام ٩٠٣ هـ ــ ١٤٩٧ [6] .

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٥ ص ٥٢٥ ، ٥٢٩ ط الشعب .
(٢) السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٥٧ ــ ٤٦٢ .
(٣) قطب الدين موسى بن محمد اليونينى : ذيل مرآة الزمان جـ ٢ ط الهند ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ .
(٤) السلوك جـ ٤ ق ٢ ص ٩٢٤ ــ ٩٢٥ .
(٥) بدائع الزهور جـ ٤ ص ١٣١ .
(٦) الضوء اللامع جـ ٤ ص ٢٣٦ القاهرة ١٣٥٤ هـ .

ولعل خير شهادة نختم بها هذه النقطة قول العلامة ابن خلدون عن الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٥ والذى كان ابن خلدون معاصراً له فى القاهرة « وما زال ملوك الهند وغيرهم من ملوك الاسلام بالنواحى يطلبون التقليد منه ، ومن سلفه بمصر ويكاتبون فى ذلك ملوك الترك بها من ملوك بنى قلاوون وغيره فيجيبونهم الى ذلك ، ويبعثون اليهم بالتقليد والخلع » [١] .

وبعد : فهذا البحث خطوة على الطريق فى مجال أظنه مازال الى اليوم بكرا ، وأنه يتسع لجهود كثير من الباحثين ، حتى تسهم جهودهم فى القاء الضوء على هذه الفترة المهملة من تاريخ الخلافة العباسية .

(١) العبر جـ ٣ ص ٥٤٢ .

الخلفاء العباسيون بمصر

المستنصر : ابو القاسم احمد : (٦٥٩ – ٦٦٠ هـ/١٢٦١ – ١٢٦١)(١)

الحاكم بامر الله : ابو العباس احمد : (٦٦١ – ٧٠١ هـ/١٢٦٢ – ١٣٠٣) (٢) .

المستكفى بالله : ابو الربيع سليمان بن الحاكم : (٧٠١ – ٧٤٠ هـ/ ١٣٠٢ – ١٣٤٠) (٣)

الواثق بالله : ابراهيم بن محمد بن الحاكم : (٧٤٠ – ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠ – ١٣٤١)

الحاكم بأمر الله : احمد بن ابى الربيع : (٧٤١ – ٧٥٣ هـ / ١٣٤١ – ١٣٥٢)

المعتضد بالله : ابو بكر بن ابى الربيع : (٧٥٣ – ٧٦٣ هـ /١٣٥٢ – ١٣٦٢)

المتوكل على الله : ابو عبد الله محمد بن المتعضد : (٧٦٣ – ٧٨٥هـ/ ١٣٦٢ – ١٣٨٣) (٤)

الواثق بالله : عمر بن ابراهيم : (٧٨٥ – ٧٨٨ هـ /١٣٨٣ – ١٣٨٦)

المستعصم بالله : زكريا بن ابراهيم : (٧٨٨ – ٧٩١ هـ /١٣٨٦ – ١٣٨٩) (٥)

---

(١) بويع فى القاهرة فى ١٣ من رجب عام ٦٥٩ هـ وقتل فى المحرم سنة ٦٦٠ على يد التتار فى شمالى العراق .

(٢) بويع فى القاهرة فى المحرم ٦٦١ هـ /١٢٦٢ .

(٣) نفى فى ذى الحجة سنة ٧٣٦ هـ /١٣٣٦ الى قوص لخلاف بينه وبين السلطان الناصر محمد بن قلاوون ولكنه لم يخلع من الخلافة ، وظل فى منصبه حتى مات فى شعبان عام ٧٤٠ هـ /١٣٤٠ وعهد الى ابنه احمد، ولكن السلطان لم يمض عهده ، وبايع ابراهيم ابن اخيه بالخلافة ، فبقى بها الى ان حضرت الناصر محمد الوفاة فى اواخر عام ٧٤١ فاوصى بأن تعاد الخلافة الى احمد ابن المستكفى فبويع فى ذى الحجة عام ٧٤١هـ وتلقب بالحاكم بأمر الله .

(٤) خلع فى رجب سنة ٧٨٥ هـ /١٣٨٣ .

(٥) خلع فى جمادى الاولى ٧٩١ هـ .

المتوكل على الله : ابو عبد الله محمد بن المتعضد : (٧٩١ ــ ٨٠٨هـ/ ١٣٨٩ ــ ١٤٠٦) (فترة ثانية)

المستعين بالله : ابو الفضل العباس بن المتوكل : (٨٠٨ ــ ٨١٦ هـ/١٤٠٦ ــ ١٤١٤) (١)

المعتضد بالله : داود بن المتوكل على الله : (٨١٦ ــ ٨٤٥ هـ/ ١٤١٤ ــ ١٤٤١)

المستكفي بالله : ابو الربيع سليمان بن المتوكل : (٨٤٥ ــ ٨٥٤ هـ / ١٤٤١ ــ ١٤٥١)

القائم بأمر الله : ابو البقاء حمزة بن المتوكل : (٨٥٤ ــ ٨٥٩ هـ / ١٤٥١ ــ ١٤٥٥) (٢)

المستنجد بالله : ابو المحاسن يوسف بن المتوكل : (٨٥٩ ــ ٨٨٤هـ/ ١٤٥٥ ــ ١٤٧٩)

المتوكل على الله : ابو العز عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل : (٨٨٤ ــ ٩٠٣ هـ /١٤٧٩ ــ ١٤٩٧)

المتمسك بالله : يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب : (٩٠٣ ــ ٩١٤هـ/ ١٤٩٧ ــ ١٥٠٨) (٣)

المتوكل على الله : الناصرى محمد بن يعقوب بن عبد العزيز : (٩١٤ ــ ٩٢٣ هـ/١٥٠٨ ــ ١٥١٧) (٤)

---

(١) خلع فى ذى الحجة سنة ٨١٦ بعد ان جمع بين السلطنة والخلافة فى المحرم سنة ٦١٥ ونفى الى الاسكندرية .

(٢) خلع فى جمادى الاولى ٨٥٩ هـ ومات فى عام ٨٦٣ هـ .

(٣) تنازل عن الخلافة لابنه ، وذلك لكبر سنه ، وضعف بصره ، وذلك فى شعبان سنة ٩١٤ . وتوفى فى ربيع الآخر بالقاهرة سنة ٩٢٧ هـ وابنه فى المنفى باسطمبول .

(٤) انتهت خلافته على يد السلطان العثمانى سليم الاول فى اوائل عام ٩٢٣ هـ ١٥١٧ ، ونفى الى اسطمبول ثم عاد الى القاهرة بعد وفاة سليم وتوفى بها فى ١٢ من شعبان عام ٩٤٥ هـ . وهو آخر الخلفاء العباسيين بمصر .